المحيي المميت

من أسماء الله الحُسنى المحيي المميت ، وأكثر الذين ألَّفوا في أسماء الله الحُسنى جمعوا بين الاسمين في موضوعٍ واحد ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى في أكثر الآيات التي ورد فيها اسم المحيي المميت ورد المحيي المميت معاً في آيةٍ واحدة .

المعنى الأول لاسم المحيي أنَّ الله سبحانه وتعالى يُحيي الأجساد بإيجاد الأرواح فيها .

يعني العلقة في رحم الأم تنمو ، لكن بعد أن تنمو يلقي الله فيها الروح ، فتتحرَّك والقلب ينبض ، والأجهزة تتكامل إلى أن يصبح الجنين طفلاً سوياً ، دماغ ، جمجمة ، أعصاب للحس ، أعصاب للحركة ، جهاز هضم متكامل ، جهاز للتنفس ، جهاز دوران ، جهاز لطرح الفضلات ، عظام عضلات أربطة ، طفل صغير كان قبل تسعة أشهر نطفةً من ماء مهين ، كان حويناً من ثلاثمئة مليون حوين بعد تسعة أشهر والأم غافلةٌ عمَّا في بطنها إذا طفلٌ يخرج من رحم أمِّه سويّاً مكتمل الخلق . . من أودع فيه الروح ؟ قال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

يعني لو درسنا مكوِّنات الحليب وجئنا بكلِّ هذه المكوِّنات ، هل

نستطيع أن نصنع حليباً ؟ لو جئنا بكلِّ مكوِّنات البيضة هل نستطيع أن نصنع بيضةً ؟ ماذا يجري في بطن الدجاجة ؟ وماذا يجري في الخليَّة من الخلايا الثديية للبقرة ؟ هذه الروح .

الكبد . . ما دامت الروح في الإنسان له خمسة آلاف وظيفة ، فإذا مات الإنسان أُلقي في المهملات ، كبد الدجاج . . والدجاج حيّ له وظائف خطيرة ، فإذا ذُبِحَ الدجاج أصبح طعاماً يؤكل ، فما سر هذه الحياة ؟

هذه المعدة . . ما دامت الحياة فيها لا تهضم نفسها ، أما إذا ذبح الخروف فأنك تأكلها وتهضمها معدتك ، هناك أمثلة لا تُعدُّ ولا تحصى . . . فأول معنى من أسماء المحيي . . هو الذي يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها .

وردة صنعت من مادةٍ بلاستيكيَّة كبيرة ولها ألوان زاهية تجد أنَّ النفس تعافها ، بينما الوردة الطبيعيَّة تشعر وتحس بتعاطف معها عجيب ، فيها حياة ، فالطبيعي فيه حياة ، أما الوردة البلاستيكيَّة فلا يوجد فيها حياة .

وقد نرى في واجهات المحالِّ التجاريَّة أجساماً توضع عليها الأقمشة ، تشعر أنَّها بلاستيك أو شمع ليس فيها حياة ، أما إنسان أمامك يتكلَّم يتحرَّك يتفاعل يبتسم يضحك يفكِّر ، يعتقد لا يعتقد ، يناقش ، يأكل يهضم يتنفَّس ، فذلك إنسان . . فرقٌ كبير بين الدُّمية والطفل ، من الذي أوجد الروح في الإنسان ؟ الله جلَّ جلاله هو المحيي ، فهل هناك أحد من الحاضرين ليس له أبٌ أو أم أو لا يعرف قصَّة خلقه ؟ قصَّة خلقه هو أنَّ أباه تزوج أمَّه وخرج واحد من ثلاثمئة

مليون حوين ولقِّح البويضة ، هذا الحوين خلية لها غلاف وفيها نواة وفي النواة عدد كبير من الجينات وعليها معلومات مبرمجة تصل إلى الآلاف ، ويدخل الحوين إلى البويضة وتبدأ البويضة الملقحة بالانقسام ؛ تنقسم البويضة الملقَّحة إلى عشرة آلاف قسم وهي في طريقها إلى الرحم دون أن يزداد حجمها ، لو ازداد حجمها لوقفت في الأنبوب وتعثَّر سيرها ، كيف تُغرس في الرحم ؟ كيف تأتي الدماء غزيرةً إلى الرحم ؟ كيف يتكون هذا الجنين ؟ بِدءاً من دماغه إلى قلبه إلى أحشائه إلى أطرافه إلى أن يكون في الشهر التاسع والأيام العشر بعد التاسع طفلاً مكتملاً ، يتثاءب ، يضحك ، يبكي ، يتنفَّس ، يهضم الحليب ، فيه حياة ، فالمحيي هو الذي يوجد الأرواح في الأجسام .

أو المحيي خالق الحياة ومعطيها لمن يشاء ، هناك إنسان تجده في بيته مصدراً لسعادة البيت كلّه ، إذا دخل تجد البيت صار كأنه في عيد ، الأولاد يتراكضون إليه يتعلَّقون عليه يجلسون في حضنه ، الزوجة تستقبله ، الضيوف يرحِّب بهم ، فإذا مات خاف أقرب الناس إليه الدخول إلى غرفته ، فأين هو ؟ أقرب الناس إليه زوجته أولاده الضيوف ، ما الذي فقده ؟ لو وزناه قبل أن يموت وبعد أن يموت وزنه هو هو ، انسحبت الروح فأصبح مخيفاً ، هناك من يخاف أن ينظر إلى ميت ، من الذي أودع فيه الروح ؟ الله جلَّ جلاله .

الله عزَّ وجلَّ من أسمائه المحيي أي أنَّه خالق الحياة في كلِّ شيءٍ حي ، في النبات . . الشجرة حطب يابس يأتي الربيع تزهر ، تورق ، تثمر ، من أوْدَع فيها الحياة ؟ ، هرَّة تلد أمامك أربع هرر صغيرة تنمو ترضع ، من أودع فيها الحياة ؟ الله جلَّ جلاله هو المحيي ،

أتعبد مخلوقاً يحتاج إلى من يحييه ؟ أتعبد مخلوقاً سوف يموت ؟ أم تعبد الخالق المحيي المميت ؟

خالق الحياة في كلِّ شيء ، النبات فيه حياة ، لو توسَّعنا أكثر : هذه الطاولة التي تبدو لكم جماداً لا يتحرَّك ولا يدرك ولا يسمع ولا ينظر ، اسألوا علماء الفيزياء فيها حياة ؟ هذه الطاولة تتألَّف من ذرَّات ، والذرَّة هي نواة وكهارب تدور حول النواة ، وكل ذرَّة لها عدد معين من الكهارب ومسارات معيَّنة وسرعات معيَّنة ، وقد ينتقل العنصر من الطبيعة الغازيَّة إلى الطبيعة الجموديَّة باختلاف كهروبٍ واحد على السطح الخارجي ، فحتى الجماد فيه حياة ، قال تعالى :

﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] .

كلُّ ما في الكون يسبح في أفلاك مغلقة ، بدءاً من الذرَّة وانتهاءً بالمجرَّة ، من الذي أودع الحياة في الجماد ؟ الجماد حيّ ، والنبات حي ، والحيوان حي ، والإنسان حي ، والله هو المحيي .

أما الجماد فإنه يشغل حيِّزاً له طول وعرض وارتفاع ، لكنَّه لا ينمو ولا يتحرَّك ، أما النبات فإنه يشغل حيِّزاً وله وزن إلا أنَّه ينمو ، والحيوان يشغل حيِّزاً وينمو ويتحرَّك .

أما الإنسان فله وزن ويشغل حيِّزاً ، وينمو ويتحرَّك ويفكِّر . قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ الرحمن : ١-٤] .

من الذي أودع الحياة ؟ هو الله جلَّ جلاله هو المحيي .

الآن . . يحيي الخلق من العدم ، ويحيي الخلق بعد الموت . . إحياءين . قال تعالى :

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر : ١١] .

الإحياء الأول الإحياء من العدم ، والإحياء الثاني الإحياء بعد الموت ، أمتَّنا اثنين وأحييتنا اثنين ، معنى الإحياء أنَّه يحيينا من العدم ، سبقنا عدم في بطون أمهاتنا ، والإحياء الثاني يحيينا يوم القيامة ، يبعثنا من قبورنا ونحيا مرَّةً ثانية .

الآن . في الحياة معنى آخر ، تجلس مع إنسان كتلة من لحم ودم لا يعي هدف وجوده ، يريد أن يأكل وأن يشرب وأن يتمتَّع ، لا يعبأ بقيمة ولا بخلق ولا بمبدأ ولا بدين ولا بعقيدة ، كائن يبحث عن طعامٍ وشراب وعن لذَّةٍ يقتنصها ، تشعر أنت بكل خليَّةٍ في جسمك وبكل قطرةٍ في دمك أنَّ هذا الإنسان ميِّت ، أما قلبه فهو في أعلى درجة ، ونبضه نظامي ، تنفسُّه جيِّد ، ضغطه جيِّد ، لو فحصته فهو في أحسن حال مئة في المئة ، لكنَّه ميِّت ، قلبه ميِّت .

معنًى جديد للمحي هو الذي يحيي القلوب بمعرفته والاتصال به ، يحيي الأجسام بالأرواح ، ويحيي النفوس بمعرفته وطاعته . . تجلس مع مؤمن فيه حياة ، فيه مبدأ ، فيه خُلق ، فيه حياء ، فيه رحمة ، فيه إنصاف ، فيه تواضع وعلم ، قال تعالى :

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ . . بالمعنى الثالث .

أول معنى . . يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها وهي من عدم .

المعنى الثاني . . يحيي النفوس بعد موتها .

المعنى الثالث . . يحيي القلوب بمعرفته والإقبال عليه .

المؤمن حيّ.. يا بُني مات خُزَّان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم موجودة .

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ . . هذا المعنى الثالث . . تجد المؤمن حيَّ القلب ، إذا قرأ القرآن تدمع عينه ، إذا قرأ القرآن يقشعرُّ جلده ، يَجِفُ قلبه ويضطرب ، يحبُّ ربَّه ، يحبُّ طاعته ، يحبُّ الخير ، يصغي إلى الحق ، ينطق بالحق ، يذكر الله ، يذكِّر بالله ، يدعو إلى الله ، يفصِّل يبيِّن يشرح ، له أهداف كبيرة سامية جداً ، يسعى إلى مرضاته .

يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها ، ويحيي القلوب بمعرفته والإقبال عليه ، قال تعالى :

﴿ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الحديد : ١٧] .

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [النحل : ٦٥] .

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [فاطر : ٩] .

﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية : ٥] .

﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ . . بإنزال المطر .

والمحيي كما قال بعض العلماء : « **يحيي العوالم بسرِّه** » ، العوالم جمع عالم كما في قوله تعالى :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

﴿الْعَالَمِينَ﴾.. جمع عالَم ، عالَم الحشرات ، عالَم الفيروسات ، عالم البكتيريات ، عالم الأحياء الدقيقة ، الآن توجد بحوث جديدة تشير إلى أنَّ هناك مسببات للمرض هي كائنات حيَّة أقلُّ من الفيروس ، أصغر مخلوق هو الفيروس ، الآن هناك مسببات تسببها هذه الكائنات التي هي أصغر من الفيروس تسبب مرض جنون البقر ، أقل من الفيروس وهو كائن حي .

أحياناً ترى على صفحة الكتاب نقطة تمشي أقل من عُشر الملِّيمتر ، فلو قسمنا المليمتر إلى عشر أقسام لكانت هذه الدويبية عشر المليمتر تمشي ، ولو وضعت يدك أمامها لوقفت ، ومعنى ذلك أنَّها أدركت أنَّ هناك حاجزاً أمامها ، والجرثوم أصغر منها ، والفيروس أصغر من الجرثوم ، وبعضٍ مكوِّنات الأمراض أصغر من الفيروس ، أودَعَ فيها الحياة .

وهناك الحوت الأزرق يزن مئة وخمسين طناً ، ووجبته المعتدلة أربعة أطنان ، وإذا أرادت أُنثاه أن ترضع وليدها ترضعه في الرضعة الواحدة ثلاثمئة كيلو غرام من الحليب ، أي طناً من الحليب في الرضعات الثلاث ، يستخرجون منه تسعين برميلاً من الزيوت ، خمسين طناً من اللحم ، خمسين طناً أخرى من الدهون ، ودماغة كتلة كبيرة جداً ، وهذا الفيروس فيه حياة ، أقل من الفيروس في حياة ، والحوت الأزرق فيه حياة ، هو المحيي .

إذاً أحيا العوالم بسرِّه.. عالم الأسماك ، عالم الطيور ، عالم الحشرات ، عالم الفراشات ، عالم البكتيريات ، عالم الفيروسات ، عالم الإنسان ، عالم الحيوانات البريَّة ، عالم النباتات ، كل شيء بيده .

قال : أحيا العوالم بسرِّه ، وغمر الموجودات بوافر برِّه ، فهل هناك مخلوقٌ لا يأكل أو لا يشرب ؟ ببعض قمم جبال هيمالايا توجد ينابيع ماء ، فما معنى أن تجد ينبوع ماء في قمَّة جبل ، بحسب قانون الأواني المستطرقة ؟ ما معنى وجود ماء في جبل ؟ هناك مستودعات للمياه في جبل أعلى وهناك تمديدات إلى الجبل الأدنى ، لأنَّ هناك أنواعاً من الوعول تعيش في قمم الجبال ، رحمةً بها جعل الله لها بعض الينابيع في قمم الجبال .

إذاً . . هو الذي أحيا العوالم بسرِّه ، وغمر الموجودات بوافر برِّه ، فلو أمسكت بسنبلة من القمح فهي غذاء كامل ، ساق هذه السنبلة غذاء كامل للحيوان ، وهو أرقى أنواع العلف ، وأغلى أنواع العلف ، كيف أنَّ القمح غذاءٌ كامل ، ساق السنبلة غذاءٌ كامل ، من جعل السنبلة للإنسان وساق السنبلة للحيوان ؟ قال تعالى :

﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس : ٣١] .

الفاكهة للإنسان ، والأبُّ للحيوان .

قال : وجمَّل نفوس المخلصين بالمجاهدة .

بقي شيء الخقيقة أنَّ المؤمن حيّ تنجذب نحوه ، ما الذي يَجذبُ فيه ؟ أنت ضع في إناءين طاقة من الورد البلاستيك وطاقة من الورد الطبيعي وانظر إليهما تجد نفسك منجذباً للطبيعي ، تشمُّها وتنتعش ، تنظر إليها وتستمتع ، فيها حياة ، نضارة ، ألوان رائعة ، كذلك المؤمن كالوردة الطبيعيَّة .

فقد تجد إنساناً ذكياً وعاقلاً ومتجمِّلاً وأنيقاً لكنه كالوردة البلاستيكيَّة . النفوس لا تنجذب إليه ، لذلك أمدَّ أحبابه بنور المعرفة

والمحبَّة ، منح المخلصين أنوار القربات ، أوصلهم إليه بعد الغربة ، قال تعالى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ .

أنت بإمكانك أن تملأ قلبك حياةً بالاتصال بالله ، أن تملأ قلبك غنىً بالاتصال بالله ، أن تملأ قلبك طمأنينةً بالاتصال بالله ، أن تملأ قلبك قناعةً بالاتصال بالله ، أن تملأ قلبك أمناً بالاتصال بالله ، القلب الموصول حيّ ، والاتصال ثمنه الطاعة ، قضيَّة سهلة بسيطة جداً ، أطِع واتَّصل ، فأنت مؤمنٌ حيُّ القلب ، لا سمح الله اعصِ وانقطع . القلب ميِّت ، حقدٌ على ضغينةٍ على لؤم على كبر على أنانية ، على استعلاء ، على كذب على جحود ، على خيانة ، القلب مقطوع وميِّت .

وأدب المؤمن مع هذا الاسم هو الإكثار من ذكر الحيّ ، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيوم وأتوب إليه . . نقولها بعد الصلاة ، الحيّ القيوم مصدر حياة قلوبنا ، مصدر حياة أجسامنا .

قال : أدب المؤمن مع هذا الاسم هو الإكثار من ذكر الحيّ حتى يحيي القلب بنور المعرفة ، وتُضيء النفس بأسرار المكاشفة ، والإكثار من ذكره ولا سيما في جوف الليل .

روى عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلت العتمة على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت إلهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنا أم

رددتها على فأعزي وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني وعزتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك .

إذا لم يكن للإنسان مع الله مناجاة وصلة في جوف الليل ، في الصلوات المكتوبات ، في السجود ، فالقلب قاسٍ . فليس هناك شيء أجمل من أن تناجي خالق الكون ، من أن تتصل به ، لكن الله عزَّ وجلَّ كلُّنا عباده ، وليس هناك فرقٌ بين عبدٍ وآخر إلا بالطاعة ، أطعه وادخل عليه ، أطعه وأقبل عليه ، أطعه وناجِه ، أطعه وابتهل إليه ترَ بابه مفتوحاً لك أبداً .

كان رجل من أصحاب ذي النون يطوف في السكك يبكي وينادي أين قلبي أين قلبي من وجد قلبي فدخل يوماً بعض السكك فوجد صبيحاً يبكي وأمه تضربه ثم أخرجته من الدار فأغلقت دونه فجعل الصبي يلتفت يميناً وشمالاً ولا يدري أين يذهب ولا أين يقصد فرجع إلى باب الدار فوضع رأسه على عتبته فنام فلما استيقظ جعل يبكي ويقول يا أماه من يفتح لي الباب إذا أغلقت عني بابك ومن يدنيني من نفسه إذا طردتيني ومن الذي يؤويني بعد أن غضبت علي فرحمته فقامت فنظرت من خلل الباب فوجدت ولدها تجري الدموع على خده متمعكا في التراب ففتحت الباب وأخذته حتى وضعته في حجرها وجعلت تقبله وتقول يا قرة عيني وعزيز نفسي أنت الذي حملتني على نفسك وأنت الذي تعرضت لما حل بك لو كنت أطعتني لم يكن مني مكروهاً . فتواجد الرجل ثم قام وصاح وقال قد وجدت قلبي قد وجدت قلبي .

سبحان الله لو صبر الناس على باب الله لفتحه لهم . . صليت

وما شعرت بشيء ، أعدِ الصلاة ، قرأت القرآن وما شعرت بشيء ، فأعد القراءة ، جلست لذكر الله وبعد المئة تسبيحة الأولى اكتفيت . . لم تصبر ، سلعة الله غالية ، سلعة الله لا تأخذها مباشرةً إلا بعد جهد حقيقي ، قال : سبحان الله : لو صبر الناس على باب الله لفتحه لهم . . لذلك قال محمد بن حازم الباهلي :

أخلِقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

ليس هناك أعظم من إنسان له صلة بالله ، فأحياناً إذا كان هناك إنسانٌ عظيمٌ ينادونه قائلين : سعادة فلان . . وقديماً دولة فلان . . لأنَّه دولة ، فالله سمَّى إبراهيم : أمَّة .

وإذا كان من له صلة بالله ، فالصلة فيها علم ، فيها حلم ، فيها توازن ، فيها طمأنينة ، فيها حكمة ، فيها رحمة ، فيها إنصاف ، فيها عدل ، فعلاً صار أمَّة ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ ، فالقضيَّة بسيطة جداً ، لا يكلِّف الله نفساً إلا وسعها ، أطعه واتصل به فأنت حي .

لو تفلَّتَّ من منهجه وانقطعت عنه فأنت ميِّت ، ولو كنت في أوج حياتك ، في أوج شبابك ، في أوج نشاطك . . ميِّت ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ . . قال تعالى :

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢] .

مرة التقيت بإنسان من بلد أجنبي فقلت بنفسي لعلي أذكِّره بالله ، فذكرت له بعض الكلمات فقال لي : هذه المعلومات لا تهمُّني ولا أبحث عنها ولا تعنيني ، أنا يعنيني امرأةٌ جميلة ، وسيَّارةٌ فارهة ومنزلٌ واسع . وانتهى الأمر . لم أشعر بإنسان ميِّت كهذا الإنسان ،

فأحياناً يأتي الطبيب فيجس النبض فلا يجد نبضاً ، فيطلب مرآة فيضعها أمام الأنف فلا يجد بخاراً خارجاً مع التنفُّس ، ويأخذ كاشفاً للضوء فيفتح عينه ويسلط عليها الضوء فلا تصغر الحدقة ، إذاً هذا ميِّت انتهت حياته ، فقد تكلَّمت معه عن عظمة الله وعن خلقه المعجز ، فقال : هذه المعلومات لا تعنيني ولا أعبأ بها ولا اكترث لها ، فقط ثلاثة تعنيني : امرأةٌ جميلة ، وسيَّارة فارهة ، ومنزلٌ واسع . . وقد مات منذ حوالي سنتين بحادث . . فقال تعالى :

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٥] .

هان أمر الله عليه ، فهان على الله .

ورد اسم المحيي في القرآن الكريم ، فجاء في سورة الروم :

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ [الروم : ٥٠] .

ألم تدخل إلى بستان في الربيع ؟ قطعة من الجنة ، انظر إليه في الشتاء موت ، ترى الأرض جرداء ، شجر كأنه حطبٌ يابس ، ادخل إلى البستان في الربيع . . . ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وفي سورة فصلت قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت : ٣٩] .

وفي سورة البقرة :

﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

وفي سورة آل عمران قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٥٦] .

وفي سورة الأعراف قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

آياتٌ كثيرةٌ جداً ورد فيها اسم المحيي والمميت معاً يحيي ويميت .

كلٌّ منا يتمتع بصحته والحمد للهِ ، هل يدري متى سيموت ؟ وفي أي مكان سوف يموت ؟ وبأي سببٍ سوف يموت ؟ يموت في بلده أم في بلدٍ آخر ؟ يموت ليلاً أو نهاراً ؟ يموت صبحاً أو مساءً ؟ يموت وحوله أهله أم وحده ؟ من يدري . . يحيي ويميت ، ومادام الإنسان لا يدري متى يموت ، ينبغي أن يستعدَّ للموت ، فقد قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

أي لا يأتيكم الموت إلا وأنتم في أعلى درجات الاستسلام لله عزَّ وجلَّ .

الآن الموت ضد الحياة ، ماتت الريح إذا ركدت وسكنت ، مات الإنسان إذا نام ، سُمي النوم موتاً لأنَّه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيهاً لا تحقيقاً ، والأرض الموات التي لم تُزرع . . من أحيا أرضاً

مواتاً فهي له ، وفلان موتان الفؤاد أي بليد غير ذكي ، قال عدي بن الرعلاء .

ليس من مات فاستراح بميِّتٍ إنمـا الميـتُ ميـتُ الأحيـاء

المميت كاسم من أسماء الله تعالى هو مُقَدِّرُ الموت على كلٍّ من أماته ، ذكرت قصَّة ، جلست مع إنسان ساعة تقريباً حدَّثني عن طموحاته إلى عشرين عاماً قادمة . . سيسافر من البلد الفلاني إلى البلد الفلاني إلى البلد الفلاني إلى الفلاني ، وسيعود وسيفتح محلاً تجارياً ، ويكبر أولاده ، وفي اليوم نفسه رأيت نعيه على الجدران مساءً .

لا أحد منا يعرف متى سيموت ؟ هل سيموت في الستين من عمره أم في الخامسة والخمسين أم في الثامنة والأربعين ، أم في الثالثة والسبعين ، أم في التسعين من عمره ؟ لا أحد يعرف ، فهناك شبابٌ يموتون .

إنسان مات قبل عامين ترك ألف مليون ، أحد الورثة نصيبه تسعون مليوناً ، أغلق محلَّه التجاري وبدأ في متابعة المعاملات فذلك أربح من كل عمله ، وستَّة أشهر بالتمام والكمال من دائرة إلى دائرة لاستخراج الوثائق الملازمة ، ودخل إلى الحمام فإذا به يموت فجأة قبل أن يقبض قرشاً واحداً ، فيا ترى وهو يبحث من مكان إلى مكان ، هل كان يتصوَّر أنَّه سيموت قبل أن يقبض هذا المبلغ ؟

من منا يعرف متى سيموت ؟ تجد شخصاً بذهنه خطط يستغرق عشر سنوات لتحقيقها ، ويأتي الموت فجأةً :

كم من عروسٍ زيَّنوها لزوجها وقد قُبِضت أرواحهم ليلة القدر

ليلة العرس ماتت.. فما دام الموت ليس بيدنا فالإنسان العاقل هو الذي يكون مستعداً للموت ، فالموت ليس معناه أن لا يعمل الإنسان ، ولكن إن أدخل الموت في حسابه يستقيم ، فإذا قال : أنا سوف أموت فجأةً سيستقيم ، أيَّةُ ساعة جاء الموت أهلاً وسهلاً ، مرحباً بالموت .

واحزناه! ـ قالتها امرأة بلال له حين حضرته الوفاة ـ فقال : **بل واطراباه... غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه .**

شيء عند معظم الناس مصيبة ، ولكنَّهُ عند المؤمن عرس إنه الموت ، والله سمَّاه في القرآن مصيبة الموت لأنَّ الإنسان في حياته الدنيا ينمو ، قد يكون طالباً فيحصل على الليسانس ثم الدكتوراه فيصبح دكتوراً ، يوظف بمشفى بوظيفة ويشتري بيتاً ويتزوَّج ، ثم ينتقل إلى بيت أكبر ، ثم يضع جهازاً للتكييف ، ثم يشتري سيارة ، وبعد ذلك يأخذ بيتاً في المصيف ، ينمو ويكبر ، من بيت كانت مساحته مئة متر إلى بيت مساحته مئتان من الأمتار وبمنطقة جميلة ، فهو ينمو ، يحسِّن أثاثه ، ويزين بيته بالسجاد فهو ينمو ، ثم يأتي ملك الموت ويخلِّصه من الدنيا وينزعه منها في أقل من ثانية التي قام بجمعها في خمسين سنة أو بثمانين سنة درجة درجة ، ويقبض روحه في ثانية واحدة ولا يأخذ شيئاً معه ، حتى لو كان في فمه سنٌّ من الذهب ربما نزعه من طمع به .

قال : مقدِّر الموت على كلٍّ من أماته ، ولا مميت سواه.. يجب أن تعتقد اعتقاداً جازماً أنَّه ليس في الكون جهةٌ تقرر إنهاء الحياة إلا الله ، ولو بدا لك بالعين أنَّ فلاناً أنهى حياته.. لا ، مهما بدا

بالعين القاصرة والعقل الضعيف أن فلاناً أنهى حياة فلان ، فلاناً قتل فلاناً ، لا يموت الإنسان إلا بأجله الذي حدده الله له .

لذلك كلمة الحق لا تقطع رزقاً ولا تقرِّب أجلاً ، الذي أودع الحياة هو وحده الذي يقرر الموت ، علاقتك مع الله ، إن آمنت هذا الإيمان تغدو شجاعاً ، تغدو جريئاً ، تغدو صادقاً ، تعتمد على الله لا تخاف أحداً ، أما إذا توهَّمت أنَّ فلاناً يمكنه أن ينهي الحياة فقد عبدته وأنت لا تشعر ، عبدته من دون الله ، وأرضيته بسخط الله ، وأشركته مع الله .

ولا مميت سواه . . . قَهَر عباده بالموت ، مهما كبر الإنسان وعلا سيموت .

فقد قرأت كتاباً لطبيبٍ لامع فيه زُهاء مئتي مقالة ، كل واحدة أروع من الأخرى ، كيف يجب عليك أن تتجنَّب الملح ، وكيف تقوم بأداء التمارين الرياضيَّة ، والمحافظة على المفاصل ، الجلد ، المعدة ، الأمعاء ، القلب ، والفيتامينات ، والمواد السيللوزيَّة الفواكه الخضراوات ، نضارة الجلد ، قوة القلب ، فمعنى ذلك أنَّه لو قرأ أحد الكتاب وقام بتطبيق ما فيه من تعليمات فلن يموت أبداً . لكن المؤلِّف بعد ذلك هو الذي مات .

فسبحان الذي قهر عباده بالموت ، فالطغاة يموتون ، الأنبياء يموتون ، كذلك الصالحون ، الأشرار يموتون ، الأذكياء يموتون ، الأغبياء يموتون ، النساء يمتن ، والرجال يموتون أيضاً ، فسبحان من قهر عباده بالموت .

فقد قرأت كتاب قصص العرب وهو كتاب ممتِع جداً ، فيه قصص

واقعيَّة وقعت في العالم العربي ، وبعد ما قرأته نظرت نظرة كانت بالغة الموعظة ، قلت : كلُّ هؤلاء ماتوا ، الأغنياء والفقراء ، الأقوياء والضعفاء ، الأصحاء والمرضى ، الأذكياء والأغبياء ، الظُلاَّم والمظلومون كلُّهم ماتوا ، وسيأتي يومٌ بعد حين كلُّ من تراه عينك في الطريق سيموت . . فنحن الموجودون هنا بعد مئة سنة لن تجد واحداً هنا وكلنا تحت أطباق الثرى ، وقبل مئة سنة لم يكن أحد منا موجوداً . . فسبحان المحيي المميت ، سبحان من قهر عباده بالموت .

الإنسان يكون كل شيء بيده وكل الأطباء في خدمته ، أي دواء من أي مكان يأتي فوراً ، ومع ذلك يموت الإنسان ، فالله قدَّر الموت على العباد ، فالأنبياء ماتوا وسيِّدنا النبي محمد ﷺ مات ، فالموت هذا مما قهر الله به عباده .

فعادوا إلى الأرض وطواهم التراب . . فأكبر موعظة إن كان لديك وقت فراغ ورأيت جنازة فامشِ وراءها ، فلاحظ عندما يضعون النعش على القبر ويرفعون الغطاء ويحملون الميِّت ، وينزل شخصٌ إلى القبر ليمسكه ويضعونه ويكشفون عن وجهه ويلقِّنونه ، ويطلع الحفَّار من حفرة القبر ويضع بعض الأحجار ويهيل عليها التراب ، ويقف أولاده يتقبلون التعازي في والدهم وانطوت صفحة . . وفي بيته لا أحد يسأل : لماذا فلان لم يَعُد ؟ لن يرجع ، وانتهى الأمر بموته ، أما إذا كان حيّاً فإنهم يسألون عنه وعن سبب تأخره حتى الساعة الثانية عشر فأين هو ، وإن كان يزور أخته فيخبرونه ويسألون عنه ، أما إذا مات ودفن فلن يسألوا عنه ، حتى ملابسه لكي لا يتذكَّروه يعطونها للفقراء على الفور ، فأكثر الأسر لا يتركون له حاجة من حاجاته من ألبسة أو من أحذية أو أي شيء له حتى لا يتذكَّروه ، فكأن صفحة قد انطوت .

فالإنسان عندما يولد كلُّ من حوله يضحك وهو يبكي وحده ، وإذا مات كلُّ من حوله يبكي . . فإذا كان بطلاً يضحك وحده ، فالآن يجب علينا جميعاً أن نعمل ونشتغل بطاعة الله وبذكره ، بالعمل الصالح ، بطلب العلم ، بتعليمه ، بالأمر بالمعروف بالنهي عن المنكر ، بالأذكار بالأوراد ، بالتلاوة للقرآن ، فباب الله مفتوحٌ للكل . . يجب أن نستعدَّ للموت بطاعة الله ، أن نستعدَّ للموت بالتوبة إلى الله ، أن نستعدَّ للموت بالعمل الصالح ، ومفهوم الغِنى والفقر بعد العرض على الله ، هو الغنى غنى العمل ، والفقر فقر العمل .

هو المميت . . فأحياناً تجد أرضاً ميتة لعدم هطول الأمطار . . فقد رأيت صورة من إفريقية . شيء مخيف ، الأشجار يابسة ، والحيوانات كلُّها نافقة ، والشعب هجر الأرض وتركها لعدم سقوط المطر ، فأمات الجماد وأمات الحيوان وأمات النبات وهجَّر الإنسان ، تجد فلاحاً يملك بقرة ثمنها سبعين ألف وتموت فجأةً ، ففي ثانية واحدة أين ثمنها ؟ فقد ذهبت وذهب ثمنها . . فالحياة بيد الله عزَّ وجلَّ .

لذلك الله عزَّ وجلَّ مميت ، ليعلم الناس أنَّ الله قادرٌ على التصرُّف بالإحياء وبالإماتة متى شاء ومتى أراد .

جاء من أمريكا وهو يحمل شهادة الدكتوراه والبورد ، أنزل حقائبه من السيارة ، ولم يكن السائق منتبهاً فرجع للخلف فصدمه وحصره بين السيارة والجدار ، ومات .

أو يموت يوم عرسه ، أو يوم أخذ شهادة ، فالقصص غريبة واعظةٌ مؤثرة .

هناك إشكالٌ في موضوع المميت.. إذا كان الله تعالى هو المميت ، فما معنى قوله تعالى :

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [السجدة : ١١] .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ أيضاً :

يجيب بعض العلماء عن هذا التساؤل : خَلقُ الموت في الحقيقة من الله عزَّ وجلَّ ، خلق فعل الموت من الله ، لكنَّ الموت في عالم الأسباب مفوَّضٌ إلى ملك الموت .

الفاعل في الحقيقة هو الله ، أحياناً يضاف ملك الموت إلى فعل الموت ، أو يضاف إلى الأعوان.. ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ .

إذا قال الله عزَّ وجلَّ.. ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾.. الفاعل الحقيقي هو الله ، أما في عالم الأسباب فعن طريق ملك الموت أو.. ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ .

ففي الحقيقة الله المتوفِّي ، وفي المجاز توفَّاه ملك الموت ، أو توفَّته رسلنا ، إلا أنَّ الموت ورد في القرآن الكريم بمعانٍ متعدِّدة ، وهي خمسة معانٍ تقريباً .

أولاً.. الموت : انعدام القوَّة النامية في الإنسان والحيوان والنبات لقوله تعالى :

﴿ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الحديد : ١٧] .

حينما تنمو الأرض بالنبات فهذه هي الحياة ، وحينما لا تنمو بالنبات فهذا هو الموت.. وهذا هو المعنى الأول للموت .

المعنى الثاني.. زوال القوَّة الحساسة في الإنسان كما جاء في القرآن الكريم على لسان السيِّدة مريم :

﴿ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ﴾ [مريم : ٢٣] .

يا ليتني لم أُحِسَّ بهذا الحمل .

النوع الثالث.. زوال القوَّة العاقلة كما قال تعالى ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ، كان مغفَّلاً وكان جاهلاً فاستيقظ وأصبح حيّاً ، فعدم النماء موت ، عدم الإحساس موت ، عدم الإدراك موت .

النوع الرابع.. الحزن والألم والكدر ، والضيق موت قال تعالى :

﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ ﴾ [إبراهيم : ١٧] .

الطريق مسدود ، فبالبيت جحيم ، والشغل متوقِّف ، أصدقاء تخلَّوا عنه ،ويأتيه الموت من كل مكان ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ ﴾.. انعدام السعادة انعدام التوفيق ، انعدام الحفظ ، انعدام النجاح في الحياة ، الطرق كلها مسدودة.. موت ، يقول لك : الحياة مثل الموت هذا النوع الرابع .

النوع الخامس.. النوم ، فالنوم موتٌ خفيف ، والموت نومٌ ثقيل : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ لِيَقُلْ بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ** » . [صحيح البخاري] .

فأحدنا إن نام إما أن يصحو من النوم أو لا يصحو ، فإذا لم يصحُ من نومه نسأل الله أن يرحمه ، وإذا صحا من نومه نسأل الله أن يحفظه من المعاصي ، قال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٢] .

حظُّ المؤمن من اسم المميت أن يذكره كثيراً ، قال عليه الصلاة والسلام : « **أكثروا ذكر هاذم اللذات : الموت ، فإنه لم يذكره أحد في ضيقٍ من العيش إلا وسعه عليه ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه** » [ابن حبان] .

وقال ﷺ : « **عش ما شئت فإنَّك ميِّت ، وأحبب من شئت فإنَّك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنَّك مجزيٌّ به ، وأعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس** » .

وعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ** » [سنن ابن ماجه] .

إنَّ أكيسكم ـ يعني أعقلكم ـ أكثركم للموت ذكراً ، وأحزمكم أشدَّ استعداداً له ، وإنَّ من علامات العقل التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والتزوُّد لسكنى القبور ، والتأهُّب ليوم النشور .

* * *